بيت المقدس يدعو اهل القبور في قولها ايتها العظام البالية واللحوم المتفرقة
والعروق المتقطعة اخرجوا من قبوركم فيخرجون وظاهره يدل على ان الدعاء دعاء بالقول
والاجابة اجابة القول واهل فلا ينبغي لنا الا ان نقول امنت بالله وبما جاء من عند الله
على مراد الله وامنت برسول الله وبما جاء من عنده على مراده وقوله بحمده حال من
فاعل تستجيبون اي تجيبون متلبسين بثنائه وحمده مقرين بانه على كل شيء قدير
حين عاينتم عظيم قدرته فتقولوا اليوم فيقولونه فتستذكرون ما اقول لكم قوله
وتستقصرون مدة لبثكم في القبور وينبغي ان يراد من اللبث في القبور لبثهم فيها بين النفختين
الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب في هذا الوقت كما روى ذلك عن ابن عباس فانهم لما بعثوا
وعاينوا اهل القيمة استقصروا مدة لبثهم في القبور فيما بين النفختين استقصار من
اماته الله مائة عام ثم بعثه وقال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وانما قلنا هذا
لان الكلام مع من ينكر البعث ويقول متى هو فلا جرم يكون هو في العذاب الشديد
من حين مات فكيف يمكنه ان يستقصر جميع تلك المدة كالذي مر على قرية فان من
كان مبتلى بالعذاب الشديد في القبر لا يستقصر مقامه فيه يوم يبعثه الله فيبعث
الا ان يقال يوم البعث والانبعاث يوم ممتد يتناول الزمان الذي قاسوا فيه شدائد
عذاب النار واهواله فان من عاينها وابتلى بها يصح منه ان يستقصر مدة لبثه
في القبر ويستحقر ما ابتلى به فيه بالنسبة الى ما ابتلى به فيه بعد البعث فان من كان في بلاء
وشدة اذا نزل ما هو اشد منه واعظم استقصر ما كان فيه قبل ذلك فكذا المشرك اذا
عاين عذاب القيمة واهوالها استقصر ما كان به من العذاب في القبر ونسي ذلك ثم انه تعالى
لما بين صحة المعاد بقوله قل الذي فطركم اول مرة امر النبي عم بان يقول للمؤمنين اذا ادعوتم ان
يراد الحجج الدالة على صحة الحشر والمعاد على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل والحجج بالطريقة الاحسن
وهو ان لا يكون ذكرها مخلوطا بالشتم والسب اذ لو اختلط بذكرها شيء من السب
لقابلوكم بمثله كما قال تعالى ولا تسبوا الذين لقابلوكم بمثله كما قال كما ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ويزداد الغضب ويتكامل النفرة
ويمتنع حصول المقصود بخلاف ما اذا اقتصر على ذكر الحجة بالطريق الاحسن الخالي من الشتم
والايذاء فان ذكرها على هذا الوجه يؤثر في القلب تاثيرا شديدا قوله نقل التي هي احسن
فيكون المراد بقوله قل لعبادي المؤمنين ويكون ربكم اعلم بكم خطابا مع الكفار مقولا لقوله تقولوا
وقوله هي احسن توطئة وتمهيد له وقوله ان الشيطان اعتراض وقوله وما ارسلناك عليهم وكيلا

وكيلا كالتذييل لمجموع مع المشركين وارد المؤمنين بها من لدن قوله وقالوا أئذا كنا عظاما الى هنا
ويكون المعنى ايها المشركون ان يشاء ربكم ان يرحمكم بان يوفقكم للايمان والمعرفة وان يشاء
يميتكم على الكفر فيعذبكم الا ان تلك المشية غائبة عنكم فاجتهدوا في طلب الدين الحق
ولا تصروا على الجهل والباطل لئلا تصيروا محرومين عن السعادات الابدية وقوله
ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بين المفسر والمفسر ثم انه تعالى لما قال ربكم اعلم بكم
قال بعده وربك اعلم بمن في السموات والارض بمعنى ان علمه غير مقصور عليكم ولا على
احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات وجميع ذرات الكائنات فيعلم حال كل احد ويعلم
بما يليق به من المصالح والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين واتى موسى التورية
وداود الزبور وعيسى الانجيل وخص كلا منهم بما تقتضيه علمه ومشيئته فيه فلم يبعد ايضا
ان يؤتي خاتم النبيين القران ويفضله على جميع افراد نوع الانسان وان يخص اصحابه العراة
الجوع بشرف صحبته وكل ذلك لاجل انه تعالى لا ينظر الى الصور وظواهر العلائق الجسمانية
وانما ينظر الى طهارة الباطن واستعداده للتحلي بالفضائل النفسانية والمعارف الذوقية
الربانية والحاصل انه تعالى رد اولا على المشركين في استبعادهم البعث بقولهم أئذا كنا
عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون وامر النبي صلعم ان يجيبهم ويجادلهم بالطريق الذي
امر به ثم امر المؤمنين بان يجادلونهم بالطريقة التي هي احسن ولا يخاشنوهم
لئلا يفوت المقصود ثم قال في اخرهم كيف تخاشنهم انت والمؤمنون وما ارسلناك عليهم
وكيلا تقسرهم على الايمان ثم انه تعالى رد على المشركين في استبعادهم النبوة بعد الرد عليهم
في استبعادهم البعث بمثل قولهم يكون يتيم ابي طالب نبيا ويكون العراة الجوع اصحابه فقال
وربك اعلم باحوال من في السموات وبما يستاهل كل واحد منهم من الفضل والتقدم ولذلك
تفاوت مراتب الانبياء فبعضهم افضل من بعض وليس ذلك التفاضل مبنيا على كثرة الاموال و
الاتباع والاتصاف بالملك وتشييد القصور والبقاع حتى ان داود عم مع كونه ملكا عظيما لم يذكر
الله تعالى ما اتاه من الملك وذكر ما اتاه من الكتاب للتنبيه على ان المراد مما ذكره من تفضيل بعض
النبيين على بعض هو التفضيل بالعلم والدين والفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية
لا بالمال والجاه فظهر مما ذكر من التقرير ان ليس المراد بالبعض في قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
البعض المعهود بل المراد به البعض المطلق والكلام المسوق لتقرير ما اجمل في قوله وربك اعلم بمن في السموات
والارض فان علمه بمن فيهما عبارة عن انه تعالى انما يفضل بعضهم منهم من يفضله على حسب علمه ومشيئته
في حقه وقوله واتينا داود زبورا انما ذكر في هذا المقام للتنبيه على ان المراد بتفضيل بعض الانبياء

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)